

هكذا كنا

أعتقد ثلاث عقود مرت على هذه الصورة وربما يزيد، والأجمل من ذلك أن أبواب التواصل ما زالت مشرعة مع بعض هؤلاء الثلة المدونة ما بين القناطر..

فقد كان درس مادة الخط العربي يتجلى فوق الأنامل والمفردات، ومحل منافسة شريفة بين طلاب الصف "الخامس والسادس" بالمرحلة الابتدائية، ولا ننسى كراسة الخط الأفقية الوسطية الحجم لخط النسخ والرقعة لخطاتها عثمان طه!

فقد أكرمني □ بعطايا أبواب الصدفة، وذلك بحفطي إلى الآن للقصاصات الورقية، وأوراق الامتحانات، والأقلام، ودفاتر الصف الخامس الابتدائي وما فوقها، وعلى وجه الخصوص للمواد التي أحببتها وتعلقت فيها، فحق من قال: إذا أحب الطالب معلمه أبدع في مادته..

فالحب هنا لا ينصب فقط ما بين العاشق ومعشوقته، فلكل راوٍ غاية ودراية.. فكيف إذا صار هذا التيه والذوبان ما بين القلم والقرطاس؟

"فالخط لسان اليد ورسول الفكر"، والخط الحسن يزيد الحق وضوحاً، "والعلم صيدٌ والكتابة قيده"، وكذلك

"الخط يبقى زماناً بعد صاحبه
وصاحب الخط تحت الأرض مدفون".

فما أجمل توقيع المعلم على الصفحة بتاريخه، وما أجمل تحفيز المعلم بعباراته، وما أجمل النجمات الحمراء وضياء القمر..

في الحقيقة والواقع ما زلت أقلب صفحات تلك الدفاتر القديمة إلى اليوم، ويكمن جمالها في تجليدها بالورق الحجازي، والأكياس الشفافة، وطابعات الاسم والصف والمدرسة اللاصقة من علب الجبن المثلث وغيرها المباعة بالمكاتب..

"يا ا"، ما أسرع الأيام التي مرت علينا، وأنا أقلب هذه الصفحة وما يعقبها، فهل أتحدث عن كتاب القراءة والمطالعة وتكرار الكتابة للقطعة ثلاث مرات؛ والتي زادت من جمال الخط وترسيخ درس الإملاء بالحفظ والنظر فينا؟

أم أتحدث عن درس مادة التعبير بتعداد الصفحات؛ وقراءة ما اكتنزه من جمل بالفصل، وعلى ما يك الإذاعة المدرسية بالطابور الصباحي؟

وهل أتحدث عن طول المقصف وتراص الطلاب أمام نافذته وعراك التلاميذ حولها؛ (وصمون) الفلافل وبيض المسلوق (والأفري كولا)؟

أستحضر الآن ملامح الدهشة أمام نواظري لمن يقرأ هذا النص، فلربما هذا يتأوه، وذاك يتأرجح ما بين أمس واليوم وعباب الزمن!

فشكراً لأستاذنا القدير محمد الغريب الذي زرع فينا حب جمال الخط وألوان الطباشير في مدرسة الجارود الابتدائية بالكوت، وشكراً لأستاذنا حسين الخميس ولجمال خطه المعهود وترشيحي لإدارة الإذاعة بذات المدرسة، وشكراً لأستاذنا عبد ا المفتاح وصرامته في دروس اللغة العربية وجمال خطه بالطباشير في متوسطة عمرو بن العاص بالكوت، وشكراً لأستاذنا علي النعمة وتمكنه من غرس حب مادة التعبير لعدة صفحات، والتدريب على مهارة الإلقاء دون خجل..

وشكراً لأستاذنا محمد المقيرن، ذاك المعلم الطيب الهادئ، والمحفز لكتابة الإنشاء بكتابة المعطيات المنقطة والرجوع للمراجع والمجلات، وشكراً لوكيل مدرستي الابتدائية الأستاذ أحمد المسلم لترشيحي كتابة أسماء الطلاب وأرقام هواتفهم المنزلية من صف سادس إلى أول، وشكراً لكل معلمٍ ومدرّبٍ وفائدٍ يعطي من هم دونه وما نقصه في مراحل عمره التعليمي.. ليكتمل عقد المسباح بالشواهد (والكركوشة) بالذكر الجميل..